بين مفهوم "البديل اللساني" في اللسانيات الحديثة و"الإبدال" في التراث اللساني العربي
قراءة مقارنة

A Comparative Reading Between the Concept of "Linguistic Alternative" in Modern Linguistics and "Commutation" in Arabic Linguistic Tradition

إشراق مسلم*
جامعة يحيى فارس - المدية
meslem.ichrak@univ-medea.dz

بن يوسف حميدي
مخبر الدراسات المصطلحية والمعجمية
جامعة يحيى فارس - المدية
hamidi.benyoucef@univ-medea.dz

تاريخ الإرسال: 14/ 03/ 2023-تاريخ القبول:2023/05/27- تاريخ النشر: 2023/06/30

الملخص:

يُعبّر مصطلح "البديل اللساني" عن مفهوم لساني مفتاحي أثبت حضوره بشكل عملي في اللسانيات البنوية على وجه الخصوص. وفي المقابل، فقد تجلى مصطلح "الإبدال" في التراث العربي بصورة تتقاطع فيها بعض سماته المفهومية مع مفهوم البديل اللساني.

نسعى في هذا البحث إلى الكشف عن مفهوم هذا المصطلح في اللسانيات الغربية الحديثة، كما نعرّج على بعض تجليات مصطلح الإبدال في التراث العربي من خلال المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي، لنقف في الختام عند ذكر أهم نقاط التقاطع والاشتراك المفهومي للمصطلحين في كلتا الثقافتين.

الكلمات المفتاحية: البديل اللساني؛ الإبدال؛ اللسانيات البنوية؛ المصطلح؛ التراث اللساني العربي.

* **المؤلف المراسل**

Abstract :

The term of "Linguistic Alternative" refers to a basic concept in modern linguistics, especially in structural linguistics. On the other hand, we have found, in Arabic linguistic tradition, the term "commutation" whose concept shares a number of conceptual features with the term "linguistic alternative".

This paper aims to reveal the definition of this concept in modern Western linguistics, then it explores some manifestations of the term "substitution" in Arabic linguistic tradition, both in terms of linguistic meaning and conceptual understanding, to finally stand on the conceptual intersection and similarity between the two concepts in both modern Western linguistics and Arabic linguistic tradition.

Keywords: Linguistic alternative ; Commutation ; Structural Linguistics ; Term ; Arabic linguistic tradition.

مقدمة:

تفد إلى اللغة العربية مصطلحات دخيلة باستمرار، وليست اللسانيات بمنأى عن هذا فهي من أكثر المجالات العلمية التي تستحدث فيها المفاهيم نتيجة لتطورها الكبير وبخاصة في العصر الحديث، حيث تعددت النظريات اللسانية الحديثة فأفرزت عددا هائلا من المفاهيم اللسانية الجديدة. وليست المفاهيم وحدها هي الجديدة بل التسميات كذلك، حيث يتم الاستحداث وفق ما يعرف بالتوليد الصوري[1].

وكان لابد للغة العربية أن تواكب هذه المفاهيم والمصطلحات الجديدة بتوظيف تقنيات التوليد والاستحداث الخاصة بها، فحاولت إبداع تسميات جديدة تماشيا والاستحداث المفهومي الحاصل في النظريات اللسانية الغربية كما حاولت تأصيل بعض المفاهيم من خلال استغلال التراث المفهومي العربي واستثماره في التعبير عن المفاهيم اللسانية الغربية.

ومن المصطلحات اللسانية التي عُرفت في الثقافة اللسانية الغربية الحديثة نجد مصطلح "البديل اللساني" الذي عبر عن مفهوم لساني غربي محوري، ارتبطت تسميته بالسابقة: -allo، ووفد إلى الدرس اللساني العربي وتم تلقيه وفق تجليات مختلفة، سواء على مستوى المفهوم أو التسمية.

ولقد تبين لنا من خلال استقراء مختلف البدائل في المعاجم اللسانية أنها تأخذ صورا متنوعة منها ما هو لغوي ومنها ما هو خارج اللغة (وحدات سيميائية)، وضمن إطار ما هو لغوي تجلت لنا البدائل وفق مستويات اللغة الأربعة (الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي)، كما شملت جانبي اللغة المنطوق والمكتوب.

سنتعرف أولا على الدلالة اللغوية للسابقة -allo وأصلها في عدد من اللغات الأجنبية، ثم ننتقل للحديث عن لفظ "البديل" في العربية من الناحية اللغوية قبل الانتقال إلى مفهومه الاصطلاحي، ومدى حضوره في التراث اللغوي العربي.

1. الدلالة اللغوية للسابقة -allo في اللغات الأجنبية:

كان لابد من التطرق إلى السابقة -allo وتعريفاتها في القواميس الأجنبية، سواء الفرنسية منها أو الإنجليزية، وذلك لأن مصطلح "بديل" هو ترجمة لهذه السابقة، كما أن مصطلحات البدائل اللسانية تشتمل جميعها في تركيبتها على السابقة allo،

بالإضافة إلى ضرورة الربط بين معانيها اللغوية ودلالتها الاصطلاحية لاحقا، وذلك لمعرفة مدى التقارب بينهما وإلى أي درجة وُفق من اختاروا هذه السابقة في بناء مصطلحات البدائل، وكذلك المترجمون الذين انتقوا المكافئ "بديل".

عُرِّفت السابقة -allo في "قاموس الأكاديمية الفرنسية " Dictionnaire De l'Académie Française": كما يلي: «اقتُرضت من الإغريقية Allos، [ومعناها] [آخر، مختلِف] عنصرٌ من مركَّب يعني "آخر"، وتُستخدم في تشكيل كلمات [مشتقة] عديدة» [2].

ولقد أشار هذا التعريف إلى أن السابقة -allo عنصر يدخل في تركيبة لفظ ذي بنية صرفية مركّبة. كما أنها تساهم بصورة فعالة في استحداث كلمات ومصطلحات مركبة جديدة من خلال إلصاقها بوحدة معجمية لإنتاج معنى أو مفهوم جديد. ومن أمثلة ذلك في مجال اللسانيات نجد مصطلحي allophone وallomorph وغيرهما.

أما كون السابقة إغريقية الأصل، فقد ذُكر هذا في أغلب القواميس، مثل قاموس بول روبرت Paul Robert الذي عرفها بـ: «عنصر استهلالي من مركب، في الإغريقية -Allo مِن Allers، [وتعني] «آخر»[3]، والآخر عادة ما نستعملها للتعبير عن شيئين أو شخصين يكونان من جنس واحد مع وجود فرق يميز الأول عن الثاني الجديد، فنقول على سبيل المثال: هذا رأي، وذلك رأي آخر.

والحقيقة أن هذا المفهوم نلمسه بشكل واضح في البدائل اللسانية فهي عناصر يختلف بعضها عن بعض في خصائص قليلة، غير أن هذا الاختلاف لا يعدم انتماءها إلى جنس واحد أو (وحدة مشتركة)، وهذا يدل على أن معنى الأصل الإغريقي بقي ساريا في المصطلحات المستحدثة.

أما في اللغة الإنجليزية فقد عرفت السابقة -allo بـ:

«.1آخر: مختلف: شاذ. زوجي...

2.شكل تناظري أو تنوع مشوَّه لمركب كيميائي Allopurnol». [4]

يُشير التعريف الأول إلى سمة الاختلاف، وهي سمة ضرورية في معنى السابقة، أما التعريف الثاني فيُظهر أن السابقة -allo قد استُثمرت في مجالات أخرى غير اللسانيات، وذلك كالكيمياء والطب مثل المصطلح المذكور Allopurnol.

تحيل بعض التعريفات ذات التوجه اللغوي العام إلى بعض السمات الاصطلاحية للمفهوم المتخصص للسابقة -allo، من ذلك التعريف الوارد في قاموس كولينز الإنجليزي "Collins English Dictionary"، حيث حُددت على هذا النحو: «Allo في الإنكليزية البريطانية تأخذ صورة all- إذا سبقت صائتا، شكلا توليفيا يدل على الاختلاف، التنوع أو التقابل: بديل صرفي allomorph، بديل صوتي allophone، بديل اسمي allonym، اعتلال الأعصاب Allopathy» [5].

والملاحظ أنّ هذا التعريف يشير إلى "التنوع" الذي هو سمة رئيسة في المفهوم الاصطلاحي، أما سمتا "الاختلاف" و"التقابل" المذكورتان فتحيلان إلى الاختلاف البنوي فقط، فالوحدات اللغوية المختلفة أو المتقابلة هي عبارة عن تنوعات بنوية، فالاختلاف الذي ينتج التقابل لا يُخرج هذه العناصر المتقابلة أو المختلفة من كونها تحقيقا للوحدة اللسانية نفسها.

ويشير التعريف إلى أمثلة يعكس أكثرها التجليات اللسانية للمفهوم، مثل البديل الصرفي allomorph، والبديل الصوتي allophone اللذين يُعبّران عن تحقق البديل في المستوى الصوتي والصرفي من اللغة.

ومعنى السابقة -allo على أن «يكون [عنصرٌ ما] واحدا من مجموعةٍ تؤلف عناصرها معا وحدة بنوية، لغويةً خاصةً. [مثل] بديل صوتي allophone»[6]. فمفهوم allo بحسب التعريف يحيل على اجتماع عدد من العناصر لتشكيل مجموعة ذات عناصر يجمع بينها عامل مشترك هو الاتحاد في البنية، فهذه العناصر مهما اختلفت تحققاتها في الواقع فهي تدل على بنية واحدة، وعليه فالاختلافات تنوعية فقط.

أما بخصوص المثال allophone فهو يجسد مفهوم السابقة بشكل جيد، حيث إن الوحدة الصوتية الواحدة تتحقق في التواصل الكلامي بوحدات مختلفة نطقا.

2. الدلالة اللغوية لمادة (بدل) في العربية:

يذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه "العين" في مادة (بدل): «البدل: خلف من الشيء، والتبديل: التغيير، واستبدلت ثوبا مكان ثوب، وأخا مكان أخ، ونحوُ ذلك المُبادلةُ، والأبدال قوم يقيم الله بهم الدين وينزل الرزق أربعون بالشام وثلاثون في سائر البلدان، إذا مات واحد منهم يقوم مقامه مثله ولا يؤبه لهم...» [7].

أما ابن فارس فقد ذكر في معجمه (مقاييس اللغة): «بدل: الباء والدال واللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب. يقال: بدل الشيء وبديله. ويقولون: بدلت الشيء إذا غيرته وإن لم تأت له ببدل، قال الله تعالى ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾، وأبدلته إذا أتيت له ببدل، قال الشاعر: عَزلَ الأَمِيرِ لِلأميرِ المُبْدَلِ.»[8].

وقد ذكر ابن منظور أيضا في مادة (بدل): «الفرّاء: بدَلٌ وبِدْلٌ لغتان ومثلٌ ومِثلٌ وشبهٌ وشِبهٌ، ونكلٌ ونِكلٌ، والبديل: البدل، وبدل الشيء: غيره. ابن سيده: بِدلُ الشيء وبَدلُه وبديله: الخلف منه والجمع: أبدال. قال سيبويه: إن بدلك زيد أي إن بديلك زيد، قال: ويقول الرجل للرجل: اذهب معك بفلان، فيقول: معي رجل بدله أي: رجل يُغني غناءه ويكون في مكانه...» [9].

وفي المعجم الوسيط نجد: «بدل الشيء: غير صورته، ويقال بدل الكلام: حرفه: وبدّل بالثوب القديم الثوب الجديد (بإدخال الباء على المتروك)... والبديل: الخلف والعوض» [10].

أما حديثا فقد عرف منير بعلبكي وابنه رمزي في قاموسهما "المورد الحديث" البديل variant: «متنوع، عرضة للتغير، مختلف [قليلا أو جزئيا]، المتخالف: الشكل المختلف [عن معيار أو قاعدة]، تهجية مختلفة للكلمة»[11].

ويلاحظ أن الجزء الأخير من هذا التعريف "تهجية مختلفة للكلمة" هو أقرب للتعريف الاصطلاحي، كما سنرى ذلك لاحقا، فالبديل عبارة عن تأدية مختلفة سواء للصوت أو الكلمة أو غيرهما، وقد اقتصر القاموس هنا على ذكر الكلمة فقط.

ما نستنتجه من خلال التعريفات المختلفة لمادة (بدل) في كتب التراث أنها تدور حول معنيين في الغالب، الأول: التغيير والثاني: حلول شيء مكان شيء آخر. والمراد بالتغيير تغيير صورة الشيء كما جاء في الوسيط: "غير صورته"، والتغيير هو استغناء عن شيء واستبداله بشيء آخر يكون من نوعه، أي تنويع في الشكل مع بقاء الانتماء إلى الأصل نفسه.

والتنوع بهذا المفهوم هو من أهم السمات التي قام عليها مفهوم البديل اللساني. وبهذا يمكننا أن نقول إن هذا مؤشر على كفاءة المقابل التراثي "بديل" الذي اختاره أغلب المترجمين ووضعوه مقابلا للسابقة -allo.

3. المفهوم الاصطلاحي للبديل:

لقد ذكر رمزي منير بعلبكي مصطلح (البديل) في معجمه "معجم المصطلحات اللغوية" كمقابل للسابقة -allo "وعرَّفه على النحو الآتي: «بديل -allo: سابقة تشير إلى البدائل الشكلية التي تطرأ على وحدة لغوية ما دون أن تغيّر وظيفة تلك الوحدة أو معناها، وأقدم المصطلحات البادئة بهذه السابقة هو مصطلح allophone»[12]. والملاحظ في التعريف أن المعجمي استخدم عبارة البدائل الشكلية، وهو ما يعني أن هذه البدائل تختلف فيما بينها في الشكل أو الصورة فقط، وليس في المعنى. كما نبه إلى أنه أقدم المصطلحات المركبة تركيبا داخليا بواسطة السابقة -allo هو مصطلح allophone، وهذا ما يدفع إلى القول بأنه تم صياغة المصطلحات اللسانية التي يتجلى فيها مفهوم البديل مثل allomorph أو allograph وغيرها انطلاقا من المصطلح الصوتي allophone.

ووفقا لذلك، فقد أقرّ دافيد كريستال David Crystal بأنّ «هناك الكثير من العلاقات الأخرى لـ-allo قد تم افتراضها منذ أن وُضِع المصطلح في ثلاثينيات القرن العشرين. منها (الألوكرون allochrone) البديل غير التمييزي للوحدة الصغرى للطول أو الكرونيم، (والألوكين allokine) البديل غير التمييزي للكينيم، أي للوحدة الصغرى لحركة الجسم، مثل الإيماءات أو تعابير الوجه)»[13]. وبهذا فالبدائل اللسانية عبارة عن تنوعات اختلافية تجسد وحدة لغوية ما، أي أنها عناصر محسوسة تأتي تجسيدا للوحدة المجردة الأصل، مع اختلاف في التمثيل، وكل وحدة تتحقق في عدد من البدائل اللسانية.

وتظهر هذه العلاقة بين البدائل والوحدة المجردة الأصل على مستوى التسمية، فمصطلحات البدائل مستهلة كلها بالسابقة -allo المترجمة بـ: "بديل"، وهذه السابقة تتعاقب مع اللاحقة eme- التي تنتهي بها تسمية الوحدة المجردة (مثل phoneme و morpheme، وtoneme وغيرها)، فإذا وُجدت -allo حُذفت eme [14].

يعمل البديل allo وفق مبدأ يسمى بمبدإ المتغيرات (allo principle) وهو «أن تندرج عدة متغيرات لغوية تحت عائلة مجردة واحدة وأن تكون هذه المتغيرات المتماثلة في توزيع تكاملي أو تغيّر حرّ مثل ألوفونات الفونيم الواحد، أو ألومورفات المورفيم الواحد، أو ألوغرافات الغرافيم الواحد» [15].

فبخصوص التوزيع التكاملي يمكن القول بأنّ «الوحدات التي لا تتقاسم أية حوالية [لسانية] تُعدّ في حالة توزيع تكاملي»[16]، وعليه، فإن البدائل المختلفة للوحدة اللسانية الواحدة المتكاملة توزيعيا لا يمكن أن تشغل نفس الموقع التوزيعي بالرغم من تحقيقها لنفس الوحدة اللسانية. فبالنسبة للبدائل الحرفية مثلا، يمكن التمثيل لها في العربية بحرف العين /ع/، فصورته الكتابية تأخذ أربعة أشكال /ع/، /ـع/، /ـع/، /ع/، تأتي في بداية الكلمة، أو في وسطها أو في آخرها، ولا يمكن تعويض بديل حرفي بآخر في نفس الموقع، وعليه فهي في حالة توزيع تكاملي بالرغم من تجسيدها لنفس الوحدة الحرفية الخطية.

أما فيما يتصل بالتغير الحر، فيمكن التمثيل عليها بالوجوه الأدائية الاختيارية المستعملة في اللهجات فـ«حرف/ج/ في العربية الذي ينطق/ž/ في لبنان و/g/ في مصر و/y/ في الكويت»[17] يبقى واحدا بالرغم من اختلاف تأدياته، إذ التأديات المختلفة هي تنوعات أو بدائل أدائية لا تؤدي إلى تغيير معنى الكلمة الناتجة، ولكن شكلها الصوتي النطقي يتغيّر.

أما العلاقة التي تحكم البدائل "اللسانية" فهي علاقة التناوب (alternation) أو التبادل أو التعاقب كما ترجمها بعلبكي، ولقد عرفها بـ:

> «العلاقة التي تجمع مناوبين (بديلين) أو أكثر ضمن الوحدة اللغوية والتي يعبر عنها بـ~ وقد تكون هذه العلاقة في الأصوات كما في العلاقة بين البدائل الصوتية للفونيم الواحد، أو الصرف كما في العلاقة بين البدائل الصرفية للمورفيم الواحد، أو النحو كما في العلاقة بين الصيغ الزمنية المختلفة للفعل الواحد في التراكيب المختلفة، أو الكتابة كما في العلاقة بين البدائل الإملائية»[18].

إذن فعلاقة التناوب تظهر في أن ينوب عنصر لغوي عن آخر دون أن يخرج عن تمثيل الوحدة اللغوية التي يشكل جزءا منها، أي دون أن يغير من الدور الوظيفي للوحدة الجامعة سواء كان وحدة صوتية أو صرفية أو نحوية أو كتابية.

3. بين "الإبدال" في التراث العربي والبديل في اللسانيات الحديثة:

الإبدال في العربية ظاهرة لغوية معروفة عند أهل الاختصاص، وقد خُصصت لها أبواب في المصنفات العربية بل أُفردت لها مؤلفات تحمل عنوان الإبدال، لعل

أشهرها "القلب والإبدال" لابن السكيت، و"كتاب الإبدال" لأبي الطيب اللغوي، و"الإبدال والمعاقبة والنظائر" للزجاجي. ولسنا نورد التعريف الاصطلاحي للإبدال كإثبات لوجوده في العربية إنما لنقارن بينه وبين التعريف الاصطلاحي الذي ألفيناه في المعاجم اللسانية، ولنقف على أوجه الاتفاق والاختلاف بين المفهومين.

وضمن هذا السياق يُصرّح عبد العزيز الصيغ قائلا: «يعد مصطلح الإبدال من مصطلحات الخليل فهو أول من أشار إليه ومثَّل له، كما ذكره سيبويه أثناء حديثه عن الأصوات التي يُبدل منها غيرها كحديثه عن الهمزة:» [19]ثم ينقل قول سيبويه الآتي: «اعلم أن الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء، التحقيق، والتخفيف، والبدل»[20]، أي أنها تتحقق وفق ثلاثة وجوه أدائية متنوعة.

ولقد «شاع مع الإبدال أسماء البدل والمبدول، والقلب والمقلوب والمحوّل والمضارعة، والتعاقب والمعاقبة والاعتقاب والنظائر والاشتقاق الكبير أو الأكبر»[21]. وما يهمنا بين هذه المصطلحات هو مصطلح "البدل" الذي يقترب في تسميته من مصطلح "بديل" الذي ارتضينا اعتماده في بحثنا باعتباره مكافئا ترجميا للسابقة -allo.

ذكر التنوخي محقق كتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي في مقدمة التحقيق أن الإبدال نوعان: لغوي ونحوي، حيث قال: «وليس الكلام على الإبدال واحدا عند علماء النحو واللغة، بل انقسم إلى نوعين بحسب المتكلمين فيه الإبدال اللغوي... وأما علماء النحو فقد بحثوا عما له علاقة بالقلب النحوي»[22].

ولقد عرّف المحققّ الإبدال اللغوي في مقدمة الكتاب بقوله: «يُريد به المحققون من علماء اللغة: إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة، وبذلك قد تشترك الكلمتان أو الصورتان بحرفين أو أكثر، ويُبدل حرف منها بحرف آخر يتقاربان مخرجا أو في المخرج والصفة معا»[23]. ولقد أشار المحقق في هذا التحديد إلى معيار أساس في الإبدال يتمثل في وجود تقارب بين الحرفين المبدل أحدهما من الآخر في المخرج والصفة، وهو ما يعني وجود تشابه صوتي بينهما.

وجاء في موضع آخر من مقدمة كتاب الإبدال المحققة «ليس المراد بالإبدال أن تتعمد العرب تعويض حرف من حرف وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة»[24]. حيث يضيف التنوخي تبعا لهذا السياق معيارا آخر لتحقق الإبدال، وهو المتمثل في ضرورة

وجود اتحاد في المعنى بين الكلمتين اللتين وقع فيهما إبدال.

ويؤكد التنوخي على ضرورة وجود اتحاد في المعنى عند الإبدال بقوله: «تباعد المخارج واختلاف البيئة والقبيلة أو اختلاف المعنى بين الكلمتين المتشابهتين كل ذلك من موانع الإبدال ففي مثل: أجم الأمر وأحم الأمر أي رابطة صوتية بيّنة بينهما؟ فهما لغتان لا بدلان»[25]. وما دام عز الدين التنوخي اعتبر اختلاف المعنى مانعا للإبدال، فمعنى ذلك أن اتحاد المعنى يعتبر شرطا لا ينبغي تجاوزه، فهذا المطلب الوظيفي ضروري لكي يتحقق الإبدال في المستوى الصرفي.

إذن، فمن خلال اشتراط التنوخي الإبقاء على المعنى لتحقق عملية الإبدال، يمكن القول بأن هذا المعيار يعد نقطة اشتراك بينه وبين مفهوم البديل في الدراسات اللسانية الحديثة، فاتحاد الوحدتين الدالتين في المعنى ضروري، أي أن التغير الحاصل عند الإبدال هو تغير غير وظيفي.

ولكن ما ينبغي التنبيه إليه، هو أن ما ذكره عز الدين التنوخي من تجليات لظاهرة الإبدال يرتبط غالبا بظاهرة صوتية صرفية، حيث يؤدي استبدال الأصوات فيها ضمن الكلمة إلى استحداث كلمة جديدة مختلفة عن الأولى في أحد عناصرها الصوتية ولكنها متفقة معها في تأدية المعنى. أما ما وجدناه من تعريفات وتمظهرات للمصطلحات التي تستهل بالسابقة -allo في مجال اللسانيات، فبدت أنها لا تتصل بمستوى لساني أو مستويين، بل تتسع دائرة تجلياتها لتشمل ما هو غير لغوي كذلك كما هو الأمر بالبديل الإيمائي الذي يعد بديلا سيميائيا غير لغوي.

أما ابن يعيش فقد عرَّف "البدل" في شرح الملوكي: «معنى البدل أن تقيم حرفا مقام حرف في موضعه، إما ضرورة وإما استحسانا، والفرق بين البدل والعوض أن البدل أشبه بالمبدل منه من العوض بالمعوض، ولذلك يقع موقعه نحو: تاء تُخمة وتُأكة»[26].

ويأتي تعريف ابن يعيش بنقطة تقاطع أخرى بين البدل في التراث وبين مفهوم البديل في اللسانيات الحديثة، وذلك في قوله: "البدل أشبه بالمبدل منه ... ولذلك يقع موقعه"، وكأنه يتحدث عن الوحدات اللغوية التي يُشترط التشابه بينها وبين متغيراتها، وذلك كالفونيم مثلا وألوفوناته التي يجمع بينها التماثل والتشابه الصوتي، ولذلك تُنسب إلى فونيم معين. يقول أحمد مختار عمر في كتابه "دراسة الصوت اللغوي": «كل ألوفون داخل الفونيم الواحد لابد أن يُشابه الآخر بقدر أكبر مما

يشابه أي صوت صُنِّف مع فونيم آخر»[27].

وقد أورد الحاج صالح (رحمه الله) إحدى القواعد التي ذكرها تروباتزكوي[28]، حيث قال: «وضع تروباتزكوي بعض القواعد ليسهل على الباحث التمييز بين الوحدات الفونيمية وبين ما هو تأدية لها فقط...القاعدة الثالثة: إذا كان صوتان متقاربان مخرجا أو صوتيا لا يقعان أبدا في نفس السياق من الحروف فهما تأديتان تركيبيتان لفونيم واحد»[29]. والملاحظ أن عبارة "متقاربان مخرجا أو صوتيا" توحي بوجود تشابه بين البدائل الصوتية يُعدّ (أي التشابه) في كثير من الأحيان عاملا يؤدي إلى اجتماع هذه التأديات تحت وحدة صوتية واحدة.

أما إشارة ابن يعيش في قوله "ويقع موقعه" فتحيل إلى السياق التوزيعي المشترك الذي يحيط بالوحدتين اللغويتين المبدلتين من بعضهما، فالسياق التوزيعي أحيانا يفرض إبدال صوت بصوت دون غيره من الأصوات الأخرى، يكون غالبا مشابها له لكي لا يتأثر السياق اللغوي بذلك.

بقي أن نشير إلى أن الإبدال في التراث له حروفه «وهي اثنا عشر حرفا يجمعها هجاء قولك: "طال يوم أنجدته"»[30]، غير أن ابن يعيش يرى بأنها ليست ثابتة دائما فقد يحصل الإبدال في غيرها يقول: «فأما حصر حروف البدل في العدة التي ذكرها فالمراد الحروف التي كثر إبدالها، واشتهرت بذلك ولم يرد أنه لم يقع البدل في شيء من الحروف سوى ما ذكر ولو أراد ذلك لكان محالا، ألا ترى أنهم قالوا: "بُعكوكة" وأصلها "مُعكوكة" لأنها من "المَعْك" وقالوا: يا اسمك يريدون ما اسمك...»[31].

ولقد حصل في هذين المثالين الإبدال بين الباء والميم، وهما صوتان متشابهان من حيث المخرج. أما عدم ثبات هذه الحروف المُبْدَلة من حيث عددها فيمكن رده إلى الاستعمال، حيث إن اللهجات العربية كثيرا ما تختلف، فتسمي الكلمة الواحدة بتأديات صوتية مختلفة.

خاتمة:

تطرقنا في هذا البحث إلى مفهوم البديل في اللغة والاصطلاح، ثم انتقلنا للحديث عن ظاهرة قريبة منه تعرض لها الدارسون العرب القدماء في كتبهم، وهي ظاهرة الإبدال التي تتقاطع في عدد من النقاط مع المفهوم اللساني الحديث للبديل اللساني، وقد خلصنا إلى جملة من النقاط نلخصها فيما يأتي:

- **أولا:** التوافق الكبير بين المعنى اللغوي العربي لمادة "بدل" أولا والمعنى اللغوي للسابقة -allo ثانيا مع التعريف الاصطلاحي للمفهوم، فمدار أغلب التعريفات هو حول معنى الاختلاف التنوعي، وهذا يدل على أنّ واضع المصطلح الأجنبي استند في توظيف السابقة -allo في لغته لتوليد مصطلحات جديدة على المعنى اللغوي، وهذا إجراء سليم يدعم الإجراء التوليدي للمصطلح، والحكم نفسه ينسحب على المترجم العربي الذي اختار مصطلح "البديل" حيث استند إلى مرجعية لغوية عمد من خلالها إلى إحياء مصطلح تراثي واستثماره بشكل دقيق.
- **ثانيا:** أهم ما جاء في التعريف الاصطلاحي أن الوحدة اللغوية الأصل التي تأتي البدائل كتنوعات لها ميزتها الأساسية هي التجريد، وقولنا "وحدة لغوية" هو كاف لمعرفة أننا في دائرة التجريد في مقابل البدائل التي تمثل العناصر المحسوسة المجسدة للوحدة المجردة في الواقع.
- **ثالثا:** البدائل اللسانية تشترك في كونها لا تغير المعنى الذي تحمله الوحدة اللغوية الأصل، أي هي تنوعات شكلية بنوية تجسد عنصرا لسانيا واحدا مهما اختلف المستوى الذي ينتمي إليه.
- **رابعا:** تُعتبر ظاهرة الإبدال في التراث العربي سلوكا لسانيا ينتج البدائل اللسانية التي تتجلى خاصة في المستوى الصوتي الصرفي من اللسان، ولكنها تمثل تحققا نموذجيا لمفهوم البديل اللساني، فالإبدال يؤدي إلى إنتاج وحدات لسانية ذات معنى مشترك، مع ضرورة وجود تشابه بين الوحدتين المستبدلتين، وهذا التشابه هو الذي يبرر عملية اختيار العنصر البديل دون غيره. إذن، فمفهوم "البديل" يتأسس، في التراث أو في اللسانيات الغربية، على معيار جوهري هو "التنوع".

الإحالات والهوامش:

[1] يقصد بالتوليد الصوري اختراع مفردات جديدة لم يسبق إلى وضعها من أجل التعبير عن مفاهيم ووقائع جديدة أو أخرى قديمة، وهو بهذا المعنى يقابل التوليد الدلالي الذي يراد به عزل القوالب اللفظية القديمة عن دلالاتها التي علقت بها منذ الوضع الأول وشحنها بوحدات دلالية مستحدثة. ينظر: علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية، شارك في إعداده أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ومعهد الدراسات المصطلحية، فاس، المملكة المغربية، 2005م، ص53.

[2] https://www.dictionnaire-academie.fr/

[3] Robert Paul, Dictionnaire Alphabétique et Analogique De La Langue Française Esociété Du Nouveau Littré, Paris, 1977, p. 51.

[4] https://www.merriam-webster.com/dictionary.

[5] https://www.collinsdictionary.com/dictionary/english

[6] https://www.merriam-webster.com/dictionary.

[7] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، ج1،ص122.

[8] ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن زكريا)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ/1989م، ج1،ص210.

[9] ابن منظور، لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1419،3هـ/1999م، ج1،ص343.

[10] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، (1425هـ- 2004م)، ص44.

[11] بعلبكي منير، وبعلبكي رمزي منير، المورد الحديث (قاموس إنجليزي-عربي)، دار العلم للملايين، لبنان، د. ط، 2008م، ص1301.

[12] بعلبكي رمزي منير، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1990م، ص38.

[13] Crystal David. 2008, A Dictionary of Linguistics and Phonetics, blackwell, 6th Edition,, p. 21.

[14] تُعد eme في مصطلح alloseme جزءا أصليا من الكلمة seme، أما المصطلح المعبر عن الوحدة المجرّدة الجامعة فهو sememe، الذي اشتق منه مُصطلح alloseme بحذف me والإبقاء على eme الأصلية.

[15] محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري (إنجليزي-عربي)، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص11.

[16] Neveu Frank, (2000), Lexique des notions linguistiques, Editions Nathan, Paris. P.35.

[17] الخولي محمد علي ، معجم علم اللغة النظري، ص. 22.

[18] رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، ص41.

[19] عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط1، (1427هـ-2007م)، ص228.

[20] المرجع نفسه، ص. 228. يُنظر: سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، (1408هـ-1997م)، ج3، ص541.

[21] أبو الطيب اللغوي (عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي)، مقدمة كتاب الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (1408هـ-1961م)، ج1، ص7.

[22] اللغوي، أبو الطيب، مقدمة كتاب الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (1408هـ-1961م)، ج1، ص8.

[23] المصدر نفسه، ص9.

[24] المصدر نفسه، ص13.

[25] المصدر نفسه، ص23.

[26] ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية بحلب، ط1، (1393هـ-1973م)، ص213.

[27] عمر أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (1418هـ-1997م)، ص205.

[28] نيكولاي تروباتزكوي من أبرز أقطاب مدرسة براغ، ينحدر من عائلة روسية عتيقة من طبقة النبلاء، (...) برع (...) في ميدان الصوتيات الوظيفية أو الفونولوجيا وكانت له فيها إسهامات قيمة منها مؤلفه الشهير: مبادئ الفونولوجيا (1939)، كما اعتنى بتطوير مفهوم الفونيم... ينظر: مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ص141-142.

[29] الحاج صالح عبد الرحمن، مدخل إلى علم اللسان الحديث (الباب الثاني: في المذاهب والنظريات اللسانية الحديثة)، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، C.R.S.T.D.L.A، ع7، 1997م، ص12،13.

[30] القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب ، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان، ط3، (1417هـ-1996م)، ص122.

[31] ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، ص215.

قائمة المصادروالمراجع:

أ- باللغة العربية:

1- أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية، علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبية، -المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ومعهد الدراسات المصطلحية، فاس المملكة المغربية، 2005م.

2- بعلبكي رمزي منير، معجم المصطلحات اللغوية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1990م.

3- بعلبكي منير وبعلبكي رمزي منير، المورد الحديث (قاموس إنجليزي-عربي)، د. ط، دار العلم للملايين، لبنان، 2008م.

4- الحاج صالح عبد الرحمن، مدخل إلى علم اللسان الحديث (الباب الثاني: في المذاهب والنظريات اللسانية الحديثة)، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، C.R.S.T.D.L.A، ع7، 1997م.

5- الخولي محمد علي، معجم علم اللغة النظري(إنجليزي-عربي)، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، ط1، 1982م.

6- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة (1408هـ-1997م)، ج3.

7- الصيغ عبد العزيز، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ط1، دار الفكر المعاصر، دمشق، (1427هـ-2007م).

8- أبو الطيب اللغوي (عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي)، مقدمة كتاب الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (1408هـ-1961م)، ج1.

9- عمر أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (1418هـ-1997م).

10- ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن زكريا)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ/1989م، ج1.

11- الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، ج1.

12- القيسي (أبو محمد مكي بن أبي طالب)، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق: أحمد حسن فرحات، ط3، دار عمار، عمان، (1417هـ-1996م).

13- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، (1425هـ-2004م).

14- ابن منظور، لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ،1419هـ/1999م، ج1.

15- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005.

16- ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط1، المكتبة العربية بحلب، (1393هـ-1973م).

ب- باللّغات الأجنبيّة

1- Crystal, David. A Dictionary of Linguistics and Phonetics, 6th Edition, Blackwell ,2008.

2- https://www.collinsdictionary.com/dictionary/english.

3- https://www.dictionnaire-academie.fr/

4- https://www.merriam-webster.com/dictionary

5- https://www.merriam-webster.com/dictionary.

6- Neveu, Frank. Lexique des notions linguistiques, Editions Nathan, Paris. (2000).

7- Robert, Paul. Dictionnaire Alphabétique et Analogique De La Langue Française, Esociété Du Nouveau Littré, Paris, 1977.